



دور المهاجرين الجزائريين في تونس وتأثيرهم على الحركة الوطنية في الجزائر

جياب فاروق

طالب دكتوراه قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

ملخص

سوف نتناول من خلال هذا المقال دور المهاجرين الجزائريين في تونس وتأثيرهم على الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك من خلال التطرق إلى حركة الهجرة من الجزائر إلى تونس خاصة بعد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، وقد كانت في بدايتها الأولى في شكل هجرات جماعية للأسر الكبرى والمعروفة، ثم تلتها هجرات جديدة اقتصرت مدة إقامتها على طلب العلم والانتفاع من المعاهد التونسية، بالخصوص جامع الزيتونة وهي الفئة المعنية بالدراسة، ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدأت تونس تحصد ثمار هذه الحركة، بحيث لم يقتصر دور الجزائريين المهاجرين على التعلم والثقافة فقط وإنما توسع حضورهم وتشعب، وامتد إلى المشاركة في مختلف أوجه النشاطات الوطنية والسياسية، والمساهمة في بعث وتأسيس أحزاب وطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها والحاملة لأفكارها، أضف إلى ذلك نشاط النخبة الجزائرية الحثيث في المجالات العلمية والفكرية والسياسية والأدبية وحتى النقابية، ولم يقتصر دور هؤلاء على تونس فقط بل امتد تأثيرهم ونشاطهم إلى المساهمة في بناء وتأسيس الحركة الوطنية الجزائرية فقد كانت تونس هي المعبر الوحيد للأفكار الإصلاحية والقومية الآتية من المشرق العربي مثل جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأفكار الحركة الوهابية كذلك.

الكلمات المفتاحية:

الهجرة، النخبة، الأحزاب السياسية، تونس، الجزائر، الحركة النقابية، الحركة الوطنية، الصحافة، جامع الزيتونة، الجرائد، المجلات، الطلبة الجزائريين، الحماية، الاستعمار.

* summary:

In this article we'll tackle the role Of the Algerian cultivated elite in Tunisia and of its Impact on the Algerian national movement. This ough touching on the Immigration movement from Algeria to Tunisia especially after the French campaign over Algeria in 1830.

At the beginning, it was only as collective immigrations of big famous families followed by new immigrations which were for the sake of science and taking advantage form Tunisian institutes, especially (zaytouna mosque) .



By the end of the 19th century and the beginning the 20th century. Tunisia started to harvest the fruits of this movement, in a way that the role of the Algerian immigrants was not only limited to sieving for knowledge but their presence spread to the contribution to various national and political activities. And also create national parties as well as publishing newspapers which expressed them and held its ideas.

In addition to the Algerian elite activity literary and even syndicate magazines, the role of the formers was not only in Tunisia but their Impact spread to the contribution to the Algerian national movement. Tunisia was the unique crossing of the reformed and native ideas which come from the Arab orient like (djamel eddine el afgani) and the idea of the Islamic university and also the (wahabia) movement idea.

*Key words:

Immigration, Elite, political parties, Tunisie, Alegria, syndicat mouvement, journalisme, national mouvement, zaytouna mosque, Newspapers, magazines, algérien Students, Protection, Colonisation.

تقديم

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وسياسة التعسف الاستعماري الهادفة إلى القضاء على كيان ووجود الشعب الجزائري واجتثاث جذوره الحضارية العربية الإسلامية، أصبح الجزائريون بفعل عامل القهر والإرهاب يشدون الرحال جماعات وأفرادا نحو مختلف أقطار الوطن العربي والإسلامي ومنها تونس البلد المجاور للجزائر، هربا بدينهم ولغتهم وحفاظا على ما تبقى لهم من مقومات أخلاقية.

وقد توالى بعد الهجرات الجماعية للأسر الكبرى والمعروفة، هجرات جديدة اقتصرت مدة إقامتها على طلب العلم والانتفاع من المعاهد التونسية، بالخصوص جامع الزيتونة الذي فتح باب المعرفة أمام الأجيال الجزائرية الناشئة، ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدأت تونس تحصد ثمار هذه الحركة، بحيث لم يقتصر دور الجزائريين المهاجرين على التعلم، وإنما توسع حضورهم وتشعب، وامتد إلى المشاركة في مختلف أوجه النشاطات الوطنية والسياسية، والمساهمة في بعث وتأسيس أحزاب وطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها والحاملة لأفكارها، أضف إلى ذلك القيام بنشاط حثيث في المجالات العلمية والفكرية والسياسية والأدبية وحتى النقابية، ولم يقتصر دور هؤلاء على تونس فقط بل امتد تأثيرهم ونشاطهم إلى المساهمة في بناء وتأسيس الحركة الوطنية



الجزائرية. فقد كانت تونس معبرا هاما للأفكار الإصلاحية والقومية الآتية من المشرق العربي مثل فكر جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية. والجدير بالذكر أن الجزائريين قد وجدوا في تونس الأرض الخصبة لممارسة نشاطهم السياسي، من أجل تحرير الجزائر، ولأن الرجال يموتون ولكن تاريخهم لا ينسى ولكي ننصف المفكرين والسياسيين الجزائريين والمنتمين إلى أصول جزائرية ممن اجبروا على الهجرة والإقامة بتونس سنحاول نفض الغبار على بعض الشخصيات الجزائرية التي ساهمت في بناء الحركة الوطنية والنقابية في تونس، وسنبين ونشرح دورها كذلك في مد الجسور الفكرية والمعرفية إلى الجزائر وذلك من خلال طرح الإشكاليات التالية: ما هي دوافع وظروف الهجرة الجزائرية إلى تونس، وأين تجلى تأثيرها على الحياة السياسية والأدبية والفكرية، من هي أهم الشخصيات الجزائرية المؤثرة، وأين تجلى تأثيرها على الحركة الوطنية الجزائرية؟.

أولا- ظروف ودوافع الهجرة الجزائرية نحو تونس :

تعتبر الهجرة ظاهرة اجتماعية وحل من الحلول التي تلجأ إليها الشعوب والأشخاص قصد كسب العيش أو العمل أو الفرار من بطش الغير أو طلب العلم، والجزائريون هم الآخرون عرفوا هجرة واسعة نحو العالم الخارجي لاسيما الهجرة نحو تونس⁽¹⁾. وقد ازدادت هذه الهجرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، فبدأت موجات من الهجرة الجزائرية تغادر البلاد، وتعود أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية إلى السياسة الاستعمارية الاستيطانية، التي طبقها الاحتلال الفرنسي في الجزائر والقائمة على الإدماج والقمع واستنزاف الموارد، بحيث تم اعتبار الجزائريين مجرد أهالي ليس لهم الحرية الفردية والسياسية، هذا ما دفع بالكثير من الوطنيين والمثقفين الجزائريين بالهجرة إلى تونس للتمتع بهامش الحرية في ظل نظام الحماية الذي طبقته السلطات الفرنسية هناك⁽²⁾. وقد تنوعت أشكال الهجرة الجزائرية إلى تونس وقد اتخذت شكلين مختلفين:

¹ - بشير مديني، الجالية الجزائرية في تونس، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005،

ص 5.

² -GERMAIN MARTY, Les Algériens à Tunis, tom1, tunis, 1948, p305.



-الهجرة الفردية: وهذا النوع عادة ما يخص افرادا لهم أوضاع خاصة، إما أنهم في حالة متابعة من طرف السلطات الفرنسية الاستعمارية بالجزائر، أو أنهم مهددون، ومنهم من هاجر للالتحاق بمختلف المؤسسات والمعاهد العلمية، ومنهم من هاجر أيضا بدافع الكسب أو التجارة⁽¹⁾.

- الهجرة الجماعية: وتتمثل في توافد العائلات الجزائرية في أشكال جماعية ومتباعدة أحيانا في شكل حشود وجماعات وعروش، وقد شمل هذا النوع من الهجرة مختلف المناطق من الوطن وخاصة المناطق الشرقية من الجزائر والمحاذية لتونس، وذلك لعدة اعتبارات اجتماعية وتاريخية وجغرافية مثل سوق أهراس، تبسة، قالمة، القالة، الطارف، سطيف، الحجار، وواد سوف وغرداية. وكانت الهجرة الجماعية تقل كلما اتجهنا نحو غرب الجزائر، بسبب البعد الجغرافي وإجراءات الرقابة والردع التي مارستها السلطة الاستعمارية في الجزائر للحد من هذه الظاهرة.⁽²⁾

ثانيا- بؤادر النشاط السياسي والثقافي للنخبة الجزائرية المثقفة في تونس :

يمكن أن نلخص بؤادر النشاط السياسي والثقافي للنخبة الجزائرية المثقفة بتونس من خلال التطرق إلى نشاط الطلبة الجزائريين المقيمين بتونس، وذلك بالحديث عن نشاطاتهم في إطار العمل الجماعي أو النقابي، بحيث استغلوا المناخ المناسب للتنديد بممارسات سلطات الحماية الفرنسية، وتجلّى دورهم كذلك من خلال المشاركة في مختلف التظاهرات المنددة بممارسات سلطات الحماية الفرنسية. وقد تبلورت فكرة النضال الطلابي خاصة بعد زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تونس بداية الثلاثينيات، بحيث اجتمع بالطلبة والعمال ووجد أن البلبلة والتردد قد استبد بهم، وأدرك أنه قد آن الأوان لجمع هذا الشتات وتحويله إلى قوة مؤثرة تلعب دورها المرسوم في حركة النضال الوطني لدى القطرين⁽³⁾.

وفي كلمة ألقاها البشير الإبراهيمي على جمع من العمال والطلبة لفت فيها نظرهم إلى ضرورة تكتيل الصفوف والتلاحم والخروج بقضيتهم وشعبيهم من الطور السلبي إلى طور العمل المجدي، وتبصير الشعب التونسي وغيره من شعوب العالم العربي بعمق المأساة التي

¹ - يوسف الجفالي، الجالية الجزائرية بجهة الكاف من (1881-1929)، رسالة ملجستير، جامعة تونس،

1929/1992، ص 37.

² - ANT, le Ministère plepotentiaire, Délègue à Résidence gènèrale, DOS:2-P2-6.

³ - محمد صالح الجابري، مرجع سابق، ص 43.



يعيشها الجزائري المحكوم عليه بمبارحة وطنه هرباً من التعسف الاستعماري وفراراً من الجهل الذي فرضه لاستعمار على الشباب الجزائري، فكان لابد في نظر البشير الإبراهيمي من رص الصفوف ورفع أصوات الاحتجاج الصارم على الاستعمار الذي تسبب في عمق المأساة الجزائرية⁽¹⁾.

ومن هنا ابتدأ إطار الطلبة يتكون ووحدتهم تتقوى وتشتد، فأصبحوا يكونون جماعات خاصة ويشاركون كطلبة لهم وحدة أدبية في اجتماعات عامة وبدأت ملكتهم الأدبية والفكرية في البروز بأكثر جرأة وراديكالية، فأصبحوا يكونون اجتماعات خاصة، ويشاركون كنخبة لهم وحدتهم واتجاههم الأدبي والفكري في الاجتماعات العامة التي تعقدتها مختلف الجمعيات المحلية، وبدأت تظهر عدة مقالات في الصحف التونسية بأقلام الطلبة الجزائريين تندد بممارسات المستعمر الفرنسي في القطرين الشقيقتين وتبلور نشاط وتأثير الطلبة الجزائريين من خلال تأسيس عدة جمعيات منها على سبيل المثال لا الحصر⁽²⁾:

أ- جمعية تلامذة الزيتونة:

ظهرت هذه الجمعية بفعل تأثير الانتقادات التي كانت توجه من أطراف عديدة إلى مدرسة الزيتونة، ومنها جريدة الحاضرة التي قامت بحملة في صيف 1901م تنتقد فيها أحوال التعليم ولامتحانات، كما وجهت انتقادات أخرى من طرف الطالب محمد بن عمران الماجري في جريدته (المزعج) التي أسسها في 1906م، حيث انتقد فيها الإدارة والتعليم الزيتوني، ومن هنا نهض البعض من طلبة جامع الزيتونة بقيادة عثمان الكعاك⁽³⁾ والجزائري الطيب بن

¹ - نفسه، ص 44.

² - جريدة الشهاب، 27 أكتوبر 1927.

³ - عثمان الكعاك: (1903-1976) من أبرز رجالات الفكر في المغرب العربي، درس بالصادقية وباريس حيث تخرج سنة 1927، وقد عرف كموسوعي بذاكرته العجيبة وإتقانه لعدد من اللغات، ومساهماته المتعددة في الصحف والمجلات العربية ولأجنبية، له عدد من المؤلفات منها: تاريخ الجزائر العام، بلاغة العرب، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، تاريخ المسرح التونسي. محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص 204.



عيسى⁽¹⁾ وبعض المتطوعين ووضعا القانون الأساسي للجمعية التي سموها "جمعية تلامذة الزيتونة"⁽²⁾.

ب- جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

قد تأسست هذه الجمعية بموجب المرسوم الصادر في 15 سبتمبر 1988 م⁽³⁾، وتم الإعلان عنها سنة 1934 م وتم انتخاب مهدي البجائي رئيسا للجمعية، ثم آلت رئاستها بعد شهور قليلة إلى الشيخ عبد المجيد حيرش الذي قام بدور كبير في الدعاية لها، ولكن سنة 1935 م أخذت الجمعية مسارا آخر بعقدها مؤتمرا موسعا انتخب فيه الشاذلي المكي رئيسا لها، هذا الأخير الذي كثف من نشاطات الجمعية الفكرية والثقافية وسافر إلى القاهرة لحشد الدعم والتشهير بجرائم وتجاوزات الاستعمار الفرنسي، ومن أجل حشد الدعم والتأييد العربيين، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية تولى رئاستها الشيخ عبد الرحمن شيبان⁽⁴⁾ الذي واصل على نفس الدرب وتلخص دور هذه الجمعية في⁽⁵⁾:

- تكوين خلايا طلابية في هيكل تنظيمي يجمع شتات الطلبة والتعريف بالقضية الجزائرية.
- التعاون مع الأشقاء التونسيين في كفاحهم والتنديد بالممارسات التعسفية لسلطات الحماية الفرنسية بالجزائر.

¹ - الطيب بن عيسى: (1885-1965) من أصل جزائري، درس بالزيتونة، وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف من بينها (الرشدية) و(الصواب) التونسيين و(الفاروق) الجزائرية ثم أسس في سنة 1911 جريدة (المشير) والتي حولها إلى (الوزير) سنة 1920. صالح الجابري، مرجع سابق، ص 160.

² - أحمد ضيف الله، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، ط 1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2003، ص 23.

³ - أحمد خالد، عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، ط 1، مطبعة دار العلامات العربية، تونس، 2001، ص 23.

⁴ - عبد الرحمن شيبان: من مواليد سنة 1918 بقرية الشرفة نواحي لبويرة، تلقى علوم اللغة والدين في مسقط رأسه، ثم ارتحل إلى تونس ليواصل الدراسة في الزيتونة شارك بفعالية في النضال والحركة الطلابية الجزائرية الزيتونية، ولما اندلعت الثورة تجند لخدمتها، كما عمل محررا بصحيفة "المقاومة التونسية" م في جريدة "المجاهد"، تولى عدة مناصب إعلامية وسياسية في قاعدة الثورة في كل من تونس وليبيا، وتولى عدة مناصب بعد لاستقلال أهمها راسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وابطال الثورة الجزائرية، دار بلوتو للنشر، ط 1، قسنطينة، 2009 م.

⁵ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، مرجع سابق، ص 104، 105.



• اعتبار هذه الجمعية بمثابة سفارة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
• تنشئة جيل قادر على مواجهة البدع والضلالات، وتأهيله من أجل إدارة المعركة المقبلة حين عودة الجزائريين إلى وطنهم وتسليحهم لمواجهة حشود الجماهير وإقناعهم بإثبات الحجج⁽¹⁾.

وقد اعتمدت هذه الجمعية على وسائل علمية ضرورية بهدف تشجيع النشاط الفكري والأدبي وزرع روح المقاومة والرفض، وكانت مجلة الثمرة هي لسان حال هذه الجمعية وقد انطلقت سنة 1937م، وقد انتشر صيت هذه المجلة حتى سارع ميصالي الحاج ليبارك عملها، فكتب مقدمة لخص فيها دور الشبيبة الجزائرية في تكوين الحركة الوطنية ليس في تونس فقط بل في كامل أقطار المغرب العربي، داعيا في نفس الوقت الشبيبة المثقفة الالتحاق بالشعب لتكون في طليعة الكفاح، كما كان لهذه الجمعية دورا بارزا في تنظيم الندوات الفكرية والعلمية للبدع والمنددة بالاستعمار وذلك بإشراك علماء تونسيين المحاربة وجزائريين⁽²⁾.

ج- أهم نشاطات الطلبة الجزائريين:

كان نشاط الطلبة الجزائريين في تونس في غالب الأحيان يجاوز حدود الجامع الأعظم ليكتسح الساحة السياسية العامة ضد سلطات الحماية الفرنسية، وذلك بانتهاج مختلف الأساليب النقابية والسياسية، ونذكر بالخصوص طلبة الرعيل الأول أمثال حسن القلاطي وعلي باش حامبة⁽³⁾ وعبد العزيز الثعالبي، والذين كان لهم السهم الأكبر في تأسيس منظمة الشباب التونسي وظهور جريدة التونسي الناطقة باسمهم عام 1907م، وقد أشرفت حركة الشباب التونسي على تنظيم عدة إضرابات ومظاهرات من أجل إطلاق سراح الطلبة

¹ - نفسه، ص 106.

² - مجلة الثمرة الثانية، ص 11، 1937.

³ - علي باش حامبة: ولد عام 1875 بتونس من عائلة جزائرية عريقة درس في الصادقية، وتنقل إلى باريس حيث تحصل على شهادة ليسانس في حقوق، يعتبر من مؤسسي جمعية قدماء الصادقية، مارس النشاط السياسي فأصبح قائدا لحركة الشباب التونسيين سنة 1906 وأسس جريدة التونسي مع عبد العزيز الثعالبي 1911/1907. نفي عام 1912 إلى اسطنبول، وتوفي عام 1918. محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (رسالة ماجستير)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993/1994م، ص 13.



التونسيين والجزائريين المنددين بالتجاوزات الاستعمارية ونذكر على سبيل المثال إضراب 18 أفريل 1910م واعتصام 13 مايو 1910م⁽¹⁾.

ورغم ممارسات النفي والطرْد والإبعاد التي مارستها سلطات الحماية إلا أن نشاط الحركة الطلابية لم يتوقف، ومن هؤلاء نذكر نموذج أحمد توفيق المدني وزميله الشاعر والكاتب حسين الجزائري⁽²⁾ صاحب القصيدة المعلقة على باب الجامع الأعظم، اللذان تم القبض عليهما وسجنهما في وقت واحد، كما شارك الطلبة الجزائريين الزيتونيين في إضراب يوم 06 أكتوبر 1922م، احتجاجاً على جلب فرنسا قسماً من سكان اليونان الذين يقيمون في أزمير بعد هزيمة الأتراك لليونانيين واسترجاعهم لأزمير، وقد قاد هذه الإضراب الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي الجزائري، وكانت تحمل هذه الحركة الاحتجاجية الطابع السياسي القومي، كما قام هذا الأخير بتحرير العديد من الرسائل والبرقيات المعارضة لمشروع التجنيس⁽³⁾، مما أدى إلى القبض عليه وسجنه بدعوى التحريض وإثارة القلاقل⁽⁴⁾.

كما شارك الطلبة الجزائريون في المظاهرات التي نظمت بالعاصمة يوم 28 نوفمبر 1925م، احتجاجاً على نصب تمثال للكاردينال لافيغري في قلب العاصمة تونس، وقد تعرض العديد من الطلاب الجزائريين للنفي بموجب المرسوم الملكي الصادر بتاريخ 7 جوان 1925م، وقد طبق هذا القرار يوم 07 ديسمبر 1925م، ومن هؤلاء نذكر العربي القروي، محمد النجار، أحمد الشطي. ورغم هذه الممارسات القمعية إلا أن نشاط الطلبة الجزائريين المناهض والمندد بالسياسة الاستعمارية قد توجه نحو التصعيد، خاصة في

¹ - المختار العياشي، البيئة الزيتونية 1910-1945، ترجمة: حماد الساحلي، تونس، 1990، ص 143.

² - حسين بن محمد الجزائري (1894-1974): ينحدر من عائلة تركية من أزمير هاجرت إلى الجزائر، وبعد الاحتلال الفرنسي 1830 هاجرت العائلة إلى تونس واستقرت بحي الحلفاويين بالعاصمة التونسية درس في الكتاتيب وفي الزاوية البكرية ثم جامع الزيتونة، تحول عام 1912 إلى الكاف ليشغل كاتب وكيل سجن مدة 44 شهر، ثم موظف عام 1957، وافته المنية عام 1975. بن فضلة الحبيب، مقامات حسين الجزائري، ط1، تونس، شركة أوريبس للطباعة والنشر، 1988م، ص 13-16.

³ - هو قانون يضمن تفوق الجالية الفرنسية في المحمية التونسية ضد مطامح موسوليني في إفريقيا كما ينص على تخصيص امتيازات أخرى للجالية اليهودية، قدمته الحكومة الفرنسية في 31/05/1923 وتم نشره في يوم 20/12/1923 وينص على حق الجانب في كسب الجنسية الفرنسية وحتى التونسيون أنفسهم، واجهة هذا المشروع معرضة من طرف بريطانيا في محكمة لاهاي، ولكن تم تسوية الوضع بين الطرفين على حرية الخيار للتجنس بالجنسية الفرنسية واو رفضها، علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 370-371.

⁴ - عليّة عميرة الصغير، تونس الأمس وتونس الغد، ط1، مطبعة بيت الحكمة، تونس، 2001، ص 203.



الإضرابات والمظاهرات والاعتصامات المتواصلة ونذكر منها إضراب 1933م، وذلك احتجاجا على صدور قانون التجنيس في 08 ديسمبر 1928م، وأكثر من ذلك الاحتجاج على الشيخ الطاهر بن عاشور⁽¹⁾ رئيس جامع الزيتونة وعضو المجلس الشرعي الذي أفتى بجواز التجنس بالجنسية الفرنسية شريطة الحفاظ على الأحوال الشخصية، وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس من المحرضين على هذه المظاهرات رغم أنه كان أحد الذين تتلمذوا على يد الشيخ الطاهر بن عاشور، وقد أسفرت هذه لاحتجاجات على مواجهة دامية بين الطلبة ورجال الأمن برحبة الغنم في 22 فيفري 1936م، وأسفرت عن اعتقال وإبعاد 33 طالبا منهم طلبة جزائريون أين ابعدهم الى حواضرهم الأصلية.⁽²⁾

وقد توج نشاط الطلبة الجزائريين وتنسيقهم المستمر إلى عقد عدة مؤتمرات في تونس والجزائر والمغرب وأبرزها المؤتمر الأول لجمعية طلبة شمال إفريقيا في شهر أوت 1934م، وكان ذلك في المدرسة الخلدونية بتونس وقد تزامن هذا المؤتمر أيضا مع الاحتفال الفرنسي بمئوية احتلال الجزائر وبعقد المؤتمر الأفخاريستي بتونس، ومن أهم المطالب التي خرج بها المؤتمر ضرورة تأصيل الأبعاد الإسلامية والعربية في مناهج التعليم وفي مختلف لأطوار في كل دول شمال إفريقيا، وإصلاح التعليم في جامع الزيتونة والقرويين بعيدا عن ضغوطات الاحتلال الفرنسي.⁽³⁾

ثالثا- أهم ملامح تأثير النخبة الجزائرية على الحياة السياسية والفكرية في تونس:

إذا تكلمنا عن ملامح تأثير النخبة الجزائرية المثقفة على الحياة السياسية والثقافية في تونس فلا بد أن نتكلم كذلك عن دور تونس في احتضان أديهم وفكرهم ومقالاتهم الصحفية، ذلك الفكر الذي أنار الدرب السياسي والتوجه الديني والقومي التونسي، فكانت منفعة مزدوجة لكلا القطرين، جزائريون قدموا فكرا وأدبا ونثرا وشعرا لتونس، كما تلقوا في

¹ - محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973): ولد بالعاصمة تونس ، من كبار علماء الزيتونة تتلمذ على يده كثيرون من أمثال عبد الحميد بن باديس، ساهم بشكل لافت في تطوير مناهج التعليم الزيتوني ، كما تقلد عدة وظائف علمية وإدارية وله العديد من المؤلفات مثل (التحرير والتنوير) و(مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، ولكن أُوخذ بفتواه التي تجيز التجنس بالجنسية الفرنسية، وكان من أشد معارضي الشيخ عبد الحميد بن باديس، الصالح الجابري، مرجع سابق، ص 66.

² - عليّة عميرة الصغير، مرجع سابق، ص 119.

³ - محمد ضيف الله، مرجع سابق، ص 17، 18.



نفس الوقت الترحاب والمساعدة وبالتالي الانضواء في أحزابها وجمعياتها وجرائدها ومدارسها...، أين وجد الجزائريون المناخ الخصب لنشر أفكارهم المنددة بالاستعمار والكاشفة لجرائمه، ولم يقتصر التأثير الفكري لهؤلاء على القطرين فقط بل امتد إلى مختلف مناطق المغرب العربي بحيث تطورت هذه الأفكار ونضجت لتصبح ذات بعد قومي مغاربي أين برزت فكرة النضال في إطار وحدة المغرب العربي الموحد. فلا طالما تغنت الأقاليم الجزائرية بانتصارات الريف في الصحف التونسية على يد الأمير بن عبد الكريم الخطابي، هذه الانتصارات كانت مصدر فخر واعتزاز لجميع شعوب المغرب العربي ومنهم الجزائريون الذين أشفوا غليلهم من المستعمر بتمجيد هذه الانتصارات⁽¹⁾. إن استطلاع الإنتاج الأدبي الذي خلفته الهجرة الجزائرية بتونس يثبت اعتزازهم بالثقافة العربية وحبهم العميق لوطنهم وأمتهم، كما يرمز هذا الإنتاج إلى صفحة مشرفة من صفحات بعث العمل الوطني المشترك والذي كان له تأثير مباشر على وحدة الحركة الوطنية المغاربية وإرباك المستعمر وزعزعتة⁽²⁾.

ومن هؤلاء الصحفيون نذكر منهم الرائد عمر بن قدور⁽³⁾ الذي اشتهر من خلال مقالاته في جريدة التقدم، ونذكر على سبيل المثال مقاله المنشور في يوم 27-02-1908م وكان بعنوان: "التقدم بقوة وطنية"، ذلك المصطلح الذي كان له تأثير على عقول البشر، وله دور في إحياء الوعي القومي والسياسي خاصة أن الشعبين كانا يخضعان لنفس السيطرة الاستعمارية الفرنسية، وقد طور عمر بن قدور نشاطه من خلال التشاور مع بعض الشخصيات، منهم محمد بن باكير وهو أحد تجار مدينة خنشلة وقد توج هذا النشاط بتأسيس مجلة "الصيديق" والتي كانت منبرا للتصعيد ضد جميع ممارسات الاستعمارية الفرنسية⁽⁴⁾.

¹، ص 23-31. محمد الصالح الجابري، مرجع سابق.

² - احمد خالد، مرجع سابق، ص 54.

³ - عمر بن قدور (1886-1932): مصلح وصحفي جزائري من دعاة الوحدة المغربية، ساهم بقلمه في عدة صحف مغربية ومشرقية، منها صحيفة جريدة الفاروق 1913. بلقاسم محمد، مرجع سابق، ص 24.

⁴ - خرفي الصالح، مجلة الثقافة، الثلاثي الثاني 1975، ص 15.



وقد تولى الطيب بن عيسى رئاسة تحرير صحيفة الوزير هذه الصحيفة كان لها دور بارز في نشر الأفكار القومية الوندوية المغربية، حتى أن محمد السعيد الزاهري⁽¹⁾ كتب مقالا يثني فيه على جريدة الوزير بعنوان "الوندية المغربية" قال فيه: " لقد أثبتت على الوزير إنها صحافة مغربية تهتم بسائر بلاد المغرب وتونس والجزائر ومراكش اهتماما يكاد يكون سواء. حتى إذا قرأتها لا تدر أي بقلم تونسي أم جزائري أم مراكشي"، لقد كان الكاتب والمفكر الجزائري محمد سعيد الزاهري يرى بأن النضال السليم هو النضال الذي يقوم على وندة المغرب العربي، لأن تاريخ المغرب واحد ومتصل تمام لاتصال بعضه ببعض فلا يقوم تاريخ تونس مثلا بدون تاريخ الجزائر ومراكش إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان⁽²⁾.

وقد تبنى الجزائريون أفكارا متنوعة، منها الوطنية والاجتماعية والدينية وحتى الإصلاحية ولاقتصادية، ومنها فكرة الجامعة الإسلامية والتي كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي من أبرز المدافعين عنها باعتبارها الجامع الوحيد للمسلمين، كما كان الشيخ الثعالبي من أبرز المدافعين عن مشروع إحياء الأمة العربية بعد أن رفض يده من الأتراك بزوال الدولة العثمانية وقيام النظام الجمهوري بها سنة 1923م، وخروج آخر الخلفاء منها عبد المجيد قاصدا دولة سويسرا والإعلان عن سقوط الخلافة سنة 1924م. كما دافع الثعالبي عن الوندية المغربية وعن كل ما يمت إليها من أفكار وطنية ويقول الثعالبي: "الوطنان كالوطن واحد والمصلحتان مصلحة واحدة لا فرق في ذلك ولاعتبار"، كما ساهم المثقفون الجزائريون في الحياة الفكرية والأدبية بنشر العديد من المواضيع الأدبية والقصائد في الجرائد التونسية المختلفة⁽³⁾.

ومن هذه القصائد نشير إلى:

- قصائد عمر بن قذور، منها: جمعة على الملة، الإسلام والمسلمون، الضمير والإصداغ.
- قصائد إبراهيم بن الحاج عيسى: الصحافة مرآة الحياة.

¹ - محمد السعيد الزاهري (1900-1956): ولد بمدينة بسكرة، تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، ثم درس بالزيتونة، وحصل على شهادة التطوع سنة 1924. شارك في الحركة الإصلاحية بمقالاته في عدد من صحف جمعية العلماء، محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص 189.

² - محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص 242.

³ - Mohamed Salah Lejri, Evolution du Mouvement National, Ed, Maison Tunisienne, 1974,



- محمد العيد آل خليفة: إحياء الأدب، إن قدر الله الحق، واحزم الناس اليوم.
- محمد السعيد الزاهري: آن الجرائد مرآة الشعوب، الوطن.

وقد اشترك الجزائريون في تحرير العديد من المقالات في الصحف والدوريات التونسية منذ مطلع القرن العشرين إلى غاية استقلال الجزائر منها: التقدم 1966م، مرشد الأمة 1906م، المنير 1907م، المشير 1911م، العصر الجديد 1920م، النهضة 1924م، العالم الأدبي 1929م، البوق والزيتونة 1936م، صبره والمباحث 1937م، العمل 1934م، الأسبوع 1945م، الصباح 1950... وغيرها من الصحف الأخرى، ولم يكتفي الجزائريون بنشر مقالاتهم فقط، بل دعموا الجرائد التونسية ماديا ومعنويا⁽¹⁾.

رابعا- دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية:

ساهم الجزائريون كغيرهم من التونسيين في الحركة الوطنية التونسية وذلك منذ الاحتلال الفرنسي لتونس، كما هو الحال بالنسبة للشيخ عبد العزيز الثعالبي، الذي انضم إلى الحزب الوطني الإسلامي عام 1895م، ثم حزب الأحرار عام 1906م، ولكن هذه الأحزاب كانت ضعيفة التكوين والتنظيم من حيث البرامج السياسية، ولهذا لم تستطع الصمود طويلا. وفي عام 1908م تأسس حزب التونسي الذي كان كذلك عبد العزيز الثعالبي من مؤسسيه ولكن نشاطه امتد إلى غاية 1911م وتلاشى بسبب قيام الحرب العالمية الأولى وقانون حل الأحزاب وتجميد النشاط السياسي بعد أحداث مقبرة الزلاّج في نوفمبر 1911⁽²⁾. مع مطلع القرن العشرين وانطلاقا من سنة 1920م، بدأت مرحلة جديدة من النضال السياسي بتأسيس الحزب الحر الدستوري الذي لعب عبد العزيز الثعالبي وأحمد توفيق المدني دورا أساسيا في تكوينه وفي التنسيق بين النخب السياسية، فقد ضم في هيئته ثلة من التونسيين والجزائريين، وإذا ما استعرضنا أسماء الزعماء البارزين في هذا الحزب منذ نشأته نجد أن عدد الجزائريين الذين دخلوا لجنته المركزية قد فاق في بعض الأحيان عدد التونسيين، فقد أقبل الجزائريون على الانخراط في هذا الحزب من الوهلة الأولى لتأسيسه،

¹ - محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر في تونس، ط1، بيروت لبنان، دار الجليل للطباعة والنشر، 2005، ص 15.

² - عبد الله إبراهيم، شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، دت، ص 9.



فمنهم من كان جزائري المولد والجنسية أمثال الشيخ إبراهيم أطفيش⁽¹⁾، والشيخ الصالح بن يحيى، وإبراهيم بن الحاج عيسى، ومنهم من كان أصله جزائرياً استقر منذ فترة بتونس. أمثال أحمد توفيق المدني، عبد الرحمن اليعلاوي، الطيب بن عيسى، العيد الجباري، عبد العزيز الثعالبي، حسين الجزائري... والقائمة طويلة. كما تلقى هذا الحزب الدعم مادياً معتبراً من قواعده النضالية في الجزائر وعلى سبيل المثال لا الحصر تلقى الحزب لمساهمة مالية قدرت بحوالي 174000 فرنك فرنسي جمعها بن يحيى وتم تقديمها للثعالبي⁽²⁾.

ونبرز بعض مساهمات الجزائريين من خلال هته المحطات الهامة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية:

أ- حرب طرابلس:

فبعد سقوط مدينة طرابلس في يد لاحتلال الإيطالي في يوم 29 سبتمبر 1911م، لاقت المقاومة داخل ليبيا دعماً مادياً وأدبياً من الجزائريين في تونس⁽³⁾، ومن هؤلاء نذكر أحمد توفيق المدني الذي كان يطوف الأسواق محرضاً للتونسيين على الجهاد وجمع التبرعات المالية رفقة مساعديه المنجي البنزرتي ومحمد النيفر، كما تولت جريدة الاتحاد الإسلامي نشر مقالات لدعم روح المقاومة التي كان على رأسها الثعالبي وعلي باش حامية، وجريدة "الحاضرة" التي كان يشرف على تحريرها علي بوشوشة. ونذكر كذلك نشاط جماعة الشباب التونسي المتكونة من التونسيين والجزائريين ومن أبرزهم حسن القلاطي، محمد النعمان، علي باش حامية، عبد العزيز الثعالبي⁽⁴⁾.

ب- حوادث الزلاخ والترامواي:

لقد كانت انتفاضة الزلاخ 1911م بسبب رفض التونسيين دفن موتى المسيحيين إلى جانب موتى المسلمين في مقبرة الزلاخ واعتبروه تدنيساً لمقدساتهم، تلك الحوادث عرفت

¹ - إبراهيم أطفيش: (1886-1965) ولد ببلدة بني يزقن بالجنوب الجزائري، درس بالزيتونة بداية من سنة 1917 وانخرط في الحزب الدستوري ثم أبعد عن تونس في شهر فيفري 1923 نظراً لنشاطه السياسي المناهض للاستعمار فأقام بالقاهرة إلى أن توفي.

² - محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مرجع سابق، ص 275.

³ - أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1879-1944، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1894، ص 11.

⁴ - أحمد توفيق المدني، حيات كفاح (مذكرات). في تونس 1905-1925، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 36-38.



مشاركة واسعة من طرف المثقفين الجزائريين أمثال احمد توفيق المدني ني وحسن القلاطي، وعبد العزيز الثعالبي، وفي هذا السياق تحدث احمد توفيق المدني في مذكراته عن دوره في تأجيج هذه الأحداث دفاعا عن هذه الأرض قائلا: "وكننت من بين الذين يطوفون في الأسواق والمقاهي، أنادي بأعلى صوتي: نموت ولا نسلم زلاجنا ويتأثر الناس بكلماتي، أكثر مما كانوا يتأثرون بكلمات الذين هم أكبر مني سنا، وقد كان مجال عملي بين أسواق تونس وبطحاء الحلفاويين"⁽¹⁾.

أما عبد العزيز الثعالبي فكان من العناصر المحرصة والمحركة في أحداث الترامواي 1912م، فقام بحركة تحسيسية رفقة معاونيه وذلك بالاتصال بالأهالي في المنازل والأحياء الشعبية، والحركة العمالية قصد مقاطعة ركوب الترامواي، لأن الترامواي كانت تشرف عليه شركة ايطالية، وكان السبب المباشر لاندلاع هذه الأحداث هو دهس أحد سائقي الترامواي الايطاليين لشاب تونسي أودى بحياته، فأعلنت المقاطعة لهذه الشركة في اليوم الموالي من الحادث التي استغلها العمال للمطالبة برفع أجور مثلا مثل ما يتقاضاه زملاؤهم الأجانب، ودامت هذه المقاطعة مدة شهر كامل مما استدعى استنجد الشركة بالسلطة الفرنسية. وقد انتهت هذه الاحتجاجات بمواجهات دامية بين سلطات الحماية الفرنسية والمحتجين، كما أقدمت سلطات الحماية الفرنسية على نفي الثعالبي إلى فرنسا، وحسن القلاطي إلى الجزائر، وعلي باش حامبة إلى تركيا، وغيرهم ابعدها الى الجنوب أمثال محمد بن نعمان والصادق الزمري درغووث وسجن مختار كاهية⁽²⁾.

كما أشارت التقارير الأمنية الفرنسية إلى سجن العديد من الجزائريين الذين كان لهم صلة بأحداث الزلاخ والترامواي، ومنها الوثيقة الصادرة عن إدارة الأمن العام بتاريخ 11 ديسمبر 1911م، والتي تحصي سبعة عشر جزائريا تم إيداعهم السجن المدني⁽³⁾.

ج- لجنة استقلال الجزائر وتونس:

تأسست هذه اللجنة بتاريخ 07 جانفي 1916م، من طرف مجموعة من الشبان الجزائريين والتونسيين برئاسة الشيخ الصالح الشريف وإسماعيل الصفاي ومحمد زيان التلمساني، وكانت مهمتها تتمثل في تحرير المنشورات والكتابات الدعائية بالعربية والألمانية

¹ - نفسه، ص 43.

² - صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط6، مصر مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص 160.

³ - 6-16، DN:16، DOS:16، pour la section d'Etat direction de la Sureté publique، ANT،



والفرنسية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، وأثناء الحرب العالمية الأولى ساندت هذه اللجنة الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا، وأسست جريدة المغرب العربي التي كانت لسان حال هذه اللجنة المشتركة والمعبرة عن نضالها الشمال إفريقي عامة ودول المغرب العربي خاصة⁽¹⁾.

ولكن عند نهاية الحرب وانهزام الدولة العثمانية وحلفائها وجدت هذه اللجنة نفسها أمام حتمية تغيير سياستها والتوجه نحو تقديم مذكرة إلى مؤتمر باريس الذي انعقد في جانفي 1919م، وطالبت من خلالها بالتنديد بنظام الاستبداد والعنف الفرنسي المفروض على الشعبين الجزائري وتونسي، والمطالبة بحق تقرير المصير بالنسبة للبلدين وجاء في خاتمة المذكرة " إن البلدين يطالبان بالاستقلال التام ووجهوا تأنيبا للضمير العالمي بالمطالبة بتقرير المصير والمطالبة بالحرية والشرعية إلى مؤتمر الصلح "، كما أرسلت وثيقة أخرى إلى الرئيس الأمريكي ويلسون في جانفي 1919م، ونددت فيها اللجنة مرة أخرى بالسياسة الفرنسية في البلدين، وطالبت بإيفاد مبعوثين شرعيين من طرف مؤتمر الصلح للتحقيق في ممارسات الاستعمار الفرنسي والدفاع عنهم وفق مبادئ مؤتمر الصلح وأولها حق الشعوب في تقرير مصيرها⁽²⁾.

خامسا- تأثير النخبة الجزائرية المثقفة في تونس على الحركة الوطنية في الجزائر:

تميز النشاط الذي اضطلع به المهاجرون الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين وحتى الاستقلال في جل مراحلها بالحيوية والاندفاع والاستمرارية، وقد وجد الجزائريون في المقالات التي وضعها الكاتبان عمر بن قدور وعمر راسم منطلقا مكيئا للاندفاع نحو بلورة هذا النشاط الوطني في أساليب جديدة أكثر ظهورا وأشد مراسا، وقد وجدت النخبة الجزائرية المهاجرة بتونس في الحركة الوطنية التونسية ممثلة في الحزب الدستوري التونسي فضاء خصبا لنشر أفكارهم الراديكالية، كما كان للجزائريين الدور البارز في إخراج هذا الحزب من نطاقه القطري إلى النطاق المغاربي بحيث أصبحت أبوابه مفتوحة أمام أبناء المغرب الكبير الذي يزرع تحت استعمار واحد⁽³⁾.

¹ - أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر حداد ونضال جيل، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص3، 4.

² - علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، ترجمة:عبد الحميد الشلي، ط1، شركة اربيسك للطباعة، مصر، 1999، ص218.

³ - محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مرجع سابق، ص173.



ولكن الاستعمار تفتن لهذه الغايات، فضرب بقسوة العناصر الجزائرية التي تسربت داخل خلايا وإدارات الحزب، ومن أهم الحلول التي لجأ إليها هي نفي الجزائريين بحجة إعادتهم إلى أوطانهم، وذلك من أجل إفراغ الحزب من محتواه المغاربي، ولكن الشيء الذي غاب عن هذه السلطات أنها لم تدرك أنها ستساهم في إشعال جذوة المقاومة والصمود في الجزائر من خلال عودة أبنائها إليها حاملين معهم خبرة سنوات طويلة من النضال السياسي، فساهموا بنصيب وافر بفكرهم وبجهدهم وجهادهم ليس في الحركة الوطنية فقط والثورة، بل أنهم رسموا مستقبل الجزائر الفكري وارتباطاتها القومية العربية والإسلامية، وعلاقاتها الدولية والإنسانية⁽¹⁾.

لقد بذل الكتاب الجزائريون في تونس جهودا مضيئة للتعريف بواقع الشعب الجزائري المتطلع إلى الحرية والمعتر بالانتماء إلى العروبة والإسلام، وعلى صفحات الجرائد التونسية شدد الكتاب الجزائريون المهاجرون بأقلامهم الخناق على السلطات الفرنسية، وأخرجوها بكتابتهم المثيرة وكشف المواضيع التي تتستر عنها أمام الرأي العام العربي والإسلامي، ومن هذه القضايا قضية التجنيد الإجباري وموقف المسلمين منها وانعكاسها على ظاهرة الهجرة، كما تولت هذه الأعلام في نشر الوعي كذلك من خلال التصدي لغلاة المعمرين ومن يوالهم من الخونة، ومناقشة وفضح أرائهم ونفاقهم أمام الرأي العام الذي اجبر على سماع وجهة النظر الواحدة⁽²⁾.

ومن القضايا الهامة التي ركزت عليها الأعلام الجزائرية هي قضية انتماء الشعب الجزائري إلى الحضارة العربية الإسلامية وهو انتماء دأب المستعمر على التشكيك فيه، وبذل مختلف الجهود لتعميق الهوة بين الجزائري وبين هذا الانتماء، فوجد المثقفون الجزائريون بتونس أنفسهم مضطرين إلى الإلحاح على هذه القضية، ودحض مختلف الأكاذيب والمفتريات. وقد كان للصحفي عمر بن قدير دور كبير في فضح وانتقاد قضية التجنيد الإجباري من خلال صفحات جريدة "الإقدام" و"التقدم" و"المشير"⁽³⁾، وكذلك واصل عمر بن

¹ - احمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص156.

² - المشير 28 ماي 1911.

³ - المشير: جريدة عربية تونسية تأسست في 10 جانفي 1911، صاحب امتيازها الشيخ الطيب بن عيسا، كانت تصدر بشارع باب السويقة بتونس العاصمة، وتوزع على السلطات العمومية، تتناول الجريدة عدة مواضيع مثل الأحوال الإسلامية، الأحوال المحلية، أحوال الافاقية، الفكاهات الحكمية، المراسلات الإصلاحية، التراجم... الإعلانات العمومية، جريدة المشير العدد 1، 10/01/1911.



قدور حملته كاشفا زيف خداع القوانين الوضعية الفرنسية المطبقة في الجزائر والذي طالما تغنت من خلالها فرنسا بحقوق الإنسان والحرية والمساواة والأخوة، ولكنه ما كانت في الحقيقة إلى وسيلة لإرضاء جموح الجماعات المتسلطة من غلاة الاستعمار⁽¹⁾.

لقد لاقت المقالات الصحفية المنددة بالسياسة الاستعمارية في الجزائر رواجاً واسعاً في الجزائر حتى أن الشيخ عبد الحميد بن سمايا ممثل أعيان الجزائر قد تأثر بهذا الطرح، وعارض في اجتماع المجلس البلدي المنعقد يوم 25 جويلية 1911 في العاصمة مشروع التجنيد الإجباري، وسأله في رأيه مفتي الجزائر الحنفي محمد أبو قندوزة، كما وجه عمر بن قدور انتقاداً حاداً إلى عمر بوضيرة عضو المجلس البلدي الذي تطوع لتزكية آراء المعمرين ومتحدياً مشاعر مواطنيه الذين كان لهم الفضل في انتخابه، حيث قال له في أحد مقالاته: (قف أيها الخطيب لقد جاوزت الحد وسلخت الأمة، ألم تذكر في موقفك هذا فضل الشعب عليك وثقته بك،... حتى أنك ألقيت وراء ظهرك حقوقه)، كما خاطب كل المتفرنسين ناصحاً إياهم بعدم المتاجرة بمصير الأمة بقوله: (قفوا أيها المتفرنجون عند حدودكم، ودعوا الله لأهله، فإنكم لستم في العير ولا في النفير... فإن للأمة أنصاراً في الباطن والظاهر، متمسكين بعروة الله الوثقى)⁽²⁾.

وقد شكل إبعاد أحمد توفيق المدني إلى الجزائر خلال سنة 1925م، جسراً جديداً من جسور التبادل الفكري والثقافي بين المثقفين التونسيين والجزائريين، بحيث زار الجزائر نفر من الشعراء والكتاب في مناسبات مختلفة، وفي مقدمة هؤلاء الشاعران: الشاذلي خزندار والناصر الصدام والأديب إبراهيم الراجح وقد كانت الكثير من الصحف الجزائرية تعزز بمثل هذه الزيارات وتعطيها بعداً سياسياً. ولكن المدني رغم الضغوطات الفرنسية والممارسات التعسفية لم يرضى بالأمر الواقع ولم يرضخ لإرادة الاستعمار، بل أصبح دافعاً من دوافع النهضة الفكرية والأدبية وحتى السياسية بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية، وذلك بكتاباته في الصحف الجزائرية وقيادته لنادي الترقى، ويقول الحسن القلاطي⁽³⁾ عن دور أحمد توفيق

¹ - التقدم 23 أفريل 1908.

² - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، 195.

³ - حسن القلاطي: من مواليد قصر البخاري بالجزائر، هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها من طرف فرنسا ثم عاد إلى الجزائر لدراسة الحقوق بجامعة، وفي مطلع القرن العشرين ساهم مع علي باش حامية في تأسيس تجمع (تونس الفتاة) وجريدة (التونسي)، وبسبب ذلك أبعده إلى الجزائر عام 1912، ولما عاد منها



المدني في الجزائر: (أصبح حركة هناك وبركة ، لأن العناصر الحية تنشر الحياة حيثما حلت، وكان باكورة ما ظهر في الجزائر بعد استقراره "نادي الترقى" العتيد الذي جمع العناصر الجزائرية)⁽¹⁾.

ونجد كذلك من الجزائريين المبعدين من تونس عبد الرحمن اليعلاوي الذي ابعد من تونس اثر مشاركته في الاحتجاجات التي كانت بسبب إقامة نصب للكاردينال لافيغري، وبعد قدومه إلى الجزائر كان له دور بارز في مد يد العون إلى جمعية العلماء المسلمين من خلال مساهمته في جريدة الشهاب⁽²⁾. كما نجد رسائل أبي اليقظان والتي اتخذت الطابع السياسي وأولت اهتماما واسعا بالقضايا الجزائرية مخاطبا الرأي العام الجزائري، خاصة من خلال الصحافة التونسية مثل (المنير)، وقد ندد أبو اليقظان من خلال رسائله ومقالاته بالكسل والتفاسس والخيانة فيقول في احد المقالات: (فشعبنا الجزائري مثلا إن أردت أن تعرف مقدار سعادته وشقائه حالا ومآلا، فانظر إلى أخلاقه فان كان شعاره العلم والعمل والاتحاد والاعتماد على النفس والوطنية والإخلاص...وان كان سابقه الجهل والكسل والافتراق والإنكال والخيانة وضعف العزيمة والانهماك...فاحكم عليه بالشقاء الأبدي)⁽³⁾.

ويقول في مقال آخر: (ما جناية هذا الشعب المسكين حتى استحق هذا الاستخفاف والازدراء دون بقية الشعوب. هل جنايته كونه شعبا مسلما جزائريا معتدلا ساكنا تحت راية الإخاء والمساواة يحاول قراءة ما يكتبه أخوه دينا ولغة وإقليما وجنسا وقراءة زراية)، إن تنديد أبي اليقظان بالجهل والخيانة وباستبداد الاستعمار الفرنسي دفع بالسيد (إيبيل) إلى إصدار قرار يمنع رواج الصحافة التونسية التي كانت المدد الروحي الوحيد الذي يتغذى منه القراء في الجزائر، وقد بلغت الحالة في بعض مناطق الجنوب الجزائري إلى أن صارت الجرائد التونسية فيها كالمواد الحربية الممنوعة⁽⁴⁾.

اختلف مع الحزب الدستوري وانشأ (الحزب الإصلاحى)، الذي اصدر جريدة (البرهان)، وحين لم تتحقق مطامحه في الزعامة انطوى على نفه، وعدل عن العمل السياسي.

¹ - الزمان 19 ديسمبر 1931.

² - لسان الشعب 2 ماي 1928.

³ - المنير 29 جانفي 1921 - 14 أكتوبر 1920.

⁴ - المنير 11 فيفري 1912.



ونذكر كذلك بن العربي⁽¹⁾ أصيل مدينة (تهرت) فكان شاعرا وقصاصا وأديبا وبرز نشاطه الفكري والأدبي من خلا جريدتي (صبرة، والزمان) ومجلة (المباحث)، لقد كان وطنيا متحررا من جميع الميول والالتزامات الحزبية فكان يرى أن التحرير لا يكون إلا بهز المجتمع وزعزعته، ولم يقتصر دوره على التعريف بالقضية الجزائرية بل كان يحتفي بها في كل مناسبة، إذ درج على توقيع مقالاته باسم (ابن تومرت) وقد ورث مفدي زكريا التوقيع بهذا الاسم بعد وفاة بن العربي وورث عنه اتجاهه الوطني الصريح والمخلص، وفي هذا السياق نذكر كذلك دور الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي⁽²⁾ ومحمد العيد الخليفة⁽³⁾ والشاعر عبد الله شريط خريجي الزيتونة والأمثلة هي كثيرة ومتعددة⁽⁴⁾.

خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن القول انه رغم مساهمة الجزائريين في الحياة الفكرية والثقافية وحتى الدينية في تونس إلا انه الحركة الوطنية التونسية هي كذلك ساهمت في إعداد الطلبة الجزائريين إعدادا سياسيا وثوريا، وعبأت نفوسهم بالحماس والنخوة وخاصة مع اندلاع الثورة التونسية سنة 1952م، فتأهبوا لاستقبال غرة أول نوفمبر 1954م، وهم على أتم الاستعداد للالتحام بثورتهم على المستويين العلمي والنظري، فالتحق بعضهم بصفوف جيش التحرير وحملوا السلاح، بينما بقي البعض الآخر يواصل الدراسة ويضطلع بمهام إعلامية وسياسية، للتعريف بالثورة وتجنيد الرأي العام لمؤازرتها والتضامن معها.

¹ - محمد لعربي: ولد في 1 ممارس 1915 بتونس هو جزائري أصيل مدينة تهرة، درس في المدارس الفرنسية ثم الزيتونة، اشتغل في الصحافة، وتوفي في 24 ديسمبر 1946، ترأس تحرير جريدة صبرة، والزمان سنة 1940، كما ساهم تحرير العديد من الجرائد منها الزهرة والبوق والسرودك. محمد محمود، أعلام الإعلام في تونس 1860-1956، ط1، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1991، ص212.

² - محمد الأخضر السائحي: ولد سنة 1918 بالعلية بالجزائر-تقرت- درس بالقرارة، ثم جامع الزيتونة بتونس 1934، ساهم في الكتابة الصحفية التونسية ومن دواوينه: همسات وصرخات، جمر وخمر. انظر الجابري، مرجع سابق، ص17.

³ - محمد العيد آل خليفة: (1904-1979) ولد بعين البيضاء الجزائر، درس بواد سوف ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، فهو شاعر الثورة وأصدر ديوانه عام 1967، انظر الجابري، نفسه، ص17.

⁴ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق، ص 326-328.